(٢)

فيض القدير العلام شرح نهج الأنام

لملا خليل الأسعردي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي زين قلوب المؤمنين بكلمة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، والصلاة والسلام على من أرسل إلى الخلق وهو خير الأنبياء والرحمة لأهل الغبراء والخضراء، وعلى آله الساعين لإحياء شريعته الغراء وصحبه المجاهدين لإعلاء الكلمة العلياء.

وبعد

فلما كان علم التوحيد والصفات أفضل العلوم الدينية لأنه أساس العقائد الإسلامية، وكانت منظومة العلامة الملا خليل الأسعردى المسماة بـ"نهج الأنام لنفع العوام" متكفلة لهذه شرحتها بهذا الشرح، وسميته بـ"فيض القدير العلام شرح نهج الأنام" وأنا أسئل الله تعالى أن يجعله ذخيرتي يوم الحشر والقيام، وآخذا بيدي يوم تزل فيه الأقدام.

اعلم أن الناظم رحمه الله تعالى كان اسمه الملا خليل بن الملا حسين بن الملا خالد الكولاتي موطناً والأسعردي مسكناً، وكانت أسرته تسكن أولاً في قرية كولات وهي قرية قريبة من "هيزان"، ثم انتقلت إلى قرية "گولبيك" وهي قرية بين "تطوان وهيزان"، ثم انتقلت إلى "هيزان" وهناك ولد الناظم، وبعد ولادته انتقلت أسرته إلى مدينة "أسعرد" وكانت ولادته في سنة ١٧٥١ م. وكان والده وضعه وهو دون سن التمييز عند المشايخ والعلماء ليغترف من علومهم ويقتدى بآثارهم فكان طوال عمره يألف مجالس العلم ويحب مخالطة العلماء وطلبة العلوم، وقضى عمره في طلب العلم. ثم بعد حصوله على الإجازة العلمية جلس للتدريس

فقصده الطلاب من كل مكان، وقد بارك الله تعالى في عمره فعمر خمساً وتسعين سنة، ولم يملّ من التأليف والتدريس.

وبرزت في أسرة الناظم جملة من العلماء منهم

١- الملا مصطفى بن الناظم الملا خليل، وهو أكبر ابناء الناظم، وقد نظم فيه والده أرجوزة جاء فيها ثلاثة لا توجد يا مصطفى الغول والعنقا وأخو الوفا.

٢- الملا عمر بن الملا عبد الله بن الناظم

٣- الملا عبد الرحمن بن الملا عبد الله بن الناظم

٤- الملا حسين بن الملا مصطفى بن الناظم

٥- الملا عبد القهار بن الملا محمود بن الناظم

٦- الملا خليل بن الملا إبراهيم بن الناظم

٧- الملا عبد الحكيم بن الملا حسن بن الناظم.

وللناظم مؤلفات كثيرة

١- "بصيرة القلوب في كلام علام الغيوب"، وهو تفسير قصير تام للقرآن الكريم.

٢- "بصيرة القلوب" نسخة ثانية لتفسير القرآن مطولة لكنها ناقصة فهي إلى سورة الكهف.

٣- "ضياء بصيرة قلب العروف في التجويد والرسم وفرش الحروف" وهي منظومة عربية.

٤- "شرح منظومة بصيرة قلب العروف" السابقة.

٥- "مختصر شرح الأماني للشاطبي" لما فيه من الرموزات ومبنى المعاني.

٦- "محصول المواهب الأحدية في الخصائص والشمائل الأحمدية".

٧- "تأسيس قواعد العقائد على ما سنح من أهل الظاهر والباطن من الفوائد".

٨- "ملخص القواطع والزواجر في ما تكلموا على الصغائر والكبائر".

٩- "أصول مغني اللبيب الحاج من جمع جوامع التاج".

١٠- "أصول حديث الأزهر من مختصر وشرحه لابن حجر الهيتمي".

١١- "زبدة ما في فتاوى الحديث في الأجوبة والإعثاء بنحو الفضل والتفضيل وامور ليس لأحد عنها غناء".

١٢- "مختصر ما للسيوطي من شرح الصدور في شرح الموت وأحوال القبور".

١٣- "منهاج السنة السنية في آداب سلوك الصوفية".

١٤- نبذة المواهب اللدنية في الشطحات والوحدة الذاتية".

١٥- "نهج الأنام لنفع العوام النسخة الكردية".

١٦- "نهج الأنام النسخة العربية".

١٧- "مختصر المنح المكية في شرح القصيدة الهمزية".

١٨- "معفوات عجاب يحتاجها ذو تقوى وآداب".

١٩- "أزهار الغصون من مقالات أرباب الفنون وما للطالب فيه من قرة العيون".

٢٠- "القاموس الثاني في الصرف والنحو والمعاني".

٢١- "تلميح الإساغوجي بزيادة تفوح على الملتجي".

٢٢- "توضيح استعارة ابن قاسم السمرقندي الهام بزيادة إرادة وتبديل كلمات يقتضيها المقام".

٢٣- "منظومة في الآداب تهدي الطالب إلى الطريق الصواب".

٢٤- "الرسالة العضدية الوضعية بما يوضح منه المرام بالكلية".

٢٥- "المنظومة الزمردية مما من المفتاح مجنية".

٢٦- "منظومة في مدح خير البرية".

٢٧- "الكافية الكبرى في النحو وهو متن القاموس الثاني".

٢٨- "منظومة الخبية في آداب المناظرة".

٢٩- "كتاب في التجويد باللغة الكردية".

٣٠- "رسالة في عقيدة جوهرة الإسلام".

٣١- "كتاب في الطلاق عند الأكراد".

٣٢- "كتاب في أصول الفقه الشافعي".

٣٣- "كتاب في أصول الحديث".

٣٤- "رسالة في الوعظ والإرشاد".

٣٥- "ديوان شعر بالكردية والعربية".

ومن هذه المؤلفات نهج الأنام لنفع العوام وهي منظومة شعرية تتألف من ٢٧١ بيتاً من البحر المتقارب تحدث فيها الناظم عن مجمل العقيدة الإسلامية في مجال الإلهيات والنبوات والسمعيات على مذهب الأشاعرة وفضلاً عن مباحث العقيدة، فقد ذكر الناظم مسائل تتعلق بالآداب والأخلاق والسلوك أيضاً، وقد ذكر في الأبيات الأخيرة أنه قام بنظم نهج الأنام كي ينتفع به العوام وطلبة العلوم الشرعية، وأشار إلى أنه قام بوضع هذه المنظومة بناء على طلب أخيه الملا إسماعيل الكيبكي رحمهما الله تعالى.

***

مبحث الفروض العينية

المبحث مصدر ميمي أو اسم مكان ويقال بحث الرجل عن الشيء أي سئل واستخبر عنه وفتش. وفي الهادي إلى لسان العرب: المبحث هو الشيء يجرى البحث فيه. والفروض جمع فرض كحروف جمع حرف وهو لغة كما في مغنى المحتاج التقدير قال تعالى: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ أي قدرتم وأتى بمعنى القطع قال تعالى: ﴿نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ أي مقطوعاً محدوداً، وبمعنى الإنزال قال تعالى: ﴿إِنَّ الذي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ أي أنزله وبمعنى التبيين قال تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ اللهُ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ أي بيّن وبمعنى الإحلال، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ﴾ أي أحلّ، وبمعنى العطاء تقول العرب: لَا أَصَبْتَ مِنْهُ فَرْضًا وَلَا قَرْضًا. والفرض شرعاً: هو ما يطلب فعله طلباً جازماً ويثاب على فعله ويعاقب على تركه، وهو قسمان؛ فرض عين، وهو ما وجب على كل شخص بعينه كالصلوات الخمس، وفرض كفاية، وهو ما إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين، كصلاة الجنازة.

قال الناظم رحمه الله تعالى:

تو گوه ديره نطق و بيانا فصيح	ژبو فرض عينانه مرد مليح
كو ايمان و اسلام وصوم وصلات	لسر مالدارانه حج و زكات
لسرته ژ فرضانه أي نور جان	بزانى تو اركان و شرط د ڤان
هچى حكم شرع تو محتاج دبى	ژبو زانينا وى دى منقاد بى
تو ايمانى باوريا دل بزان	مطيع بونه اسلام بظاهر بزان

اللغة

(تو) ضمير مخاطب أي أنت (گوه ديره) أي استمع (نطق) أي التكلم بصوت وحروف تعرف بها المعاني (بيانا) أي المنطق الفصيح المعبر عما في الضمير (فصيح) يقال فصُح فصاحة أي جادت لغته وحسن منطقه فهو فصيح (ژبو فرض عينانه) أي لأجل الفروض العينية (مرد) منادى على حذف حرف النداء وهو بفتح الميم فارسية بمعنى الرجل (مليح) أي حسن (كو) في المعجم الذهبي: هو مخفف كه أو أي الذي هو. (ايمان) وهو في اللغة: التصديق مطلقاً، وفي الشرع: هو التصديق بما جاء به النبي ﷺ مما علم من الدين بالضرورة (اسلام) وهو في اللغة الإمتثال والانقياد مطلقاً وفي الشرع هو الامتثال والانقياد لما جاء به النبي ﷺ مما علم من الدين بالضرورة (صوم) وهو في اللغة الإمساك ولو عن نحو الكلام، وفي الشرع: الإمساك عن المفطرات جميع النهار على وجه مخصوص. وفرض في شعبان في السنة الثانية من الهجرة (صلاة) وهي في اللغة الدعاء مطلقا وفي الشرع اقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم بشرائط مخصوصة وفرضت قبل الهجرة بسنة ليلة الإسراء (لسر مالدارانه) أي على الاغنياء ذوى الاموال (حج) وهو في اللغة مطلق القصد وفي الشرع قصد الكعبة للنسك المشتمل على الوقوف بعرفة والصحيح عند الشافعية ان الحج فرض في السنة السادسة بعد الهجرة وقيل في التاسعة وصححه ابن الكمال (زكاة) وهي في اللغة التطهير والمدح والنماء وفي الشرع اخراج جزء من المال على وجه مخصوص وفرضت في السنة الثانية بعد الهجرة (لسر ته ژ فرضانه) أي عليك من الفروض (اى نور جان) أي كلمة نداء والنور في اللغة الضوء وجان بمعنى النفس والروح (بزانى تو) أي ان تعلم (اركان) جمع ركن وهو ما يتوقف عليه صحة الشيء وكان

منه كالركوع للصلاة (شرط) وهو ما يتوقف عليه صحة الشيء وليس منه كالوضوء للصلاة (دڤان) أي هذه المذكورات (هچى حكم شرع) أي أيّ شيء من أحكام الشرع (تو محتاج دبى) أي احتجت إليه من غير ما ذكر كالمعاملات وأحكام النكاح وغيرهما (ژبو زانينا وى) أي لأجل تعلمه (دى منقاد بى) أي لابد أن تكون مطيعاً له فعليك ان تتعلمه أيضاً، والأحكام الشرعية منها ما تتعلق بكيفية العمل وتسمى فرعية وعملية، ومنها ما تتعلق بالإعتقاد وتسمى أصلية واعتقادية (تو) أي انت (ايمانى) أي الإيمان السابق ذكره (باوريا دل) أي تصديق القلب (بزان) أي اعلم (مطيع بونه اسلام بظاهر بزان) أي اعلم أن الإسلام هو الإطاعة والإمتثال ظاهراً وعياناً.

المعنى

استمع أيها المرء المليح الحسن إلى هذا النطق والبيان الفصيح لأجل الفروض العينية وهي الإيمان والإسلام والصوم والصلاة وعلى ذوي الأموال الحج والزكاة وعليك من الفرض أي نور الروح والنفس أن تتعلم أكان وشروط هذه المذكورات وان احتجت إلى أي حكم من الأحكام الشرعية من غير ما ذكرنا كالمعاملات وأحكام النكاح وغيرهما فعليك ان تتعلمه أيضاً، واعلم أن الإيمان هو التصديق بالقلب والإسلام هو الإطاعة والإمتثال ظاهراً وعياناً.

قال الناظم رحمه الله تعالى:

وليكن قه يك بى يكى نـابتن	مسلمانى بـى هـر دوان نـابتن
تو معناى شهدى كو باور بكى	تلفـظ اگـر قـادرى پـى بكـى
ژكفرى تو بى شك خو خارج دكى	ولـى اصـل دينـى تـو حاصـل دكـى

وكى كو دكل وى عمل ژى بكى	تو ايمان و اسلام كامل دكى
معانى ژ بو وى اڤن گوه بدى	تو معبودى بالحق تونى ژبل خدى

اللغة

(وليكن) أي ولكن (قه يك) أي قطعاً أحدهما (بى يكى) أي بدون الآخر (نابتن) أي لا يكون ولا يوجد فلا يوجد مؤمن ليس بمسلم ولا مسلم ليس بمؤمن (مسلمانى) أي الإسلامية الحقيقية (بى هر دوان) أي بدونهما (نابتن) أي لا توجد لأن من آمن بالقلب ولم يعمل بالظاهر كان مؤمناً عاصياً، ومن عمل بالظاهر فقط ولم يؤمن بالقلب كان منافقاً (تو) أي أنت (معناى شهدى) أي معنى كلمة الشهادة (كو باور بكى) أي إن أيقنت وأذعنت بمعنى كلمة الشهادة (تلفظ) أي التكلم باللسان (اگر قادرى پى بكى) أي إن كنت قادراً به بأن لم تكن أخرس (ژى كفرى تو) أي أنت من الكفر (بى شك) أي بلا شك وشبهة (خو خارج دكى) أي تخرج نفسك عن الكفر (ولى) أي ولكن (اصل دينى) أي أصل الدين (تو حاصل دكى) أي تحصّل أنت (وكى كو دكل وى) أي إن كنت مع ذلك التصديق والنطق بكلمة الشهادة (عمل ژى بكى) أي تعمل أيضاً (تو ايمان واسلام كامل دكى) أي تكمل أنت الإيمان والإسلام، فالعمل من كمال الإيمان، وهو يزيد بزيادته وينقص بنقصه كما هو المشهور عند الأشعريين (معانى ژبو وى) أي المعاني لكلمة الشهادة (اڤن) أي هذه المذكورات (گوه بدى) أي استمع إليها (تو معبودى بالحق تونى ژبل خدى) أي لا معبود بحق ومستحق للعبادة غير ذات الواجب الوجود تعالى وتقدس، وكلمة بل بمعنى غير في لغة

بعضهم عبارة سعد الإسلام شرح نهج الأنام هكذا فمعناها لا معبود إلا إلهنا أي معنى الشهادة التفصيلي ان تتيقن وتصدق أن لا معبود إلا الله.

المعنى

ولكن لا يوجد أحدهما بدون الآخر والإسلامية الحقيقية لا توجد بدونهما، وإن أيقنت وأذعنت بمفهوم كلمة الشهادة ونطقت بها أيضاً إن كنت قادراً على النطق أخرجت نفسك عن الكفر وحصّلت أصل الدين وإن عملت بفعل المأمور به واجتناب المنهي عنه بعد التصديق والنطق بكلمة الشهادة فقد استكملت الإيمان والإسلام والمعاني لكلمة الشهادة هذه فاستمع إليها لا معبود بحق ومستحق للعبادة غير ذات الواجب الوجود تعالى وتقدس.

اعلم أيها المخاطب المنصف الذي هو بالأخلاق الفاضلة متصف إنا نريد أن ننقل بعض عبارات بعض العلماء العظام والفحول الكرام بعون الملك العلام لتوضيح هذا المبحث ولتفصيل هذا المقام فنقول:

قال العلامة ابن أبي العز الحنفي في شرح العقيدة الطحاوية:

اختلف الناس فيما يقع عليه اسم الإيمان اختلافاً كثيراً؛ فذهب مالك والشافعي وأحمد والأوزاعي وإسحق بن راهويه وسائر أهل الحديث وأهل الظاهر وجماعة من المتكلمين إلى أنه تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان. وذهب كثير من أصحابنا إلى ما ذكره الطحاوي رحمه الله تعالى أنه الإقرار باللسان والتصديق بالجنان. ومنهم من يقول: إن الإقرار باللسان ركن زائد ليس بأصلي. وإلى هذا ذهب أبو منصور الماتريدي رحمه الله تعالى. ويروى عن أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه وذهب الكرامية إلى أن الإيمان هو الإقرار باللسان

فقط. فالمنافقون عندهم مؤمنون كاملو الإيمان، ولكن يقولون بأنهم يستحقون الوعيد الذي أوعدهم الله تعالى به وقولهم ظاهر الفساد، وذهب الجهم بن صفوان إلى أن الإيمان هو المعرفة بالقلب، وهذا القول أظهر فساداً مما قبله فإن لازمه إن فرعون وقومه كانوا مؤمنين فإنهم عرفوا صدق موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام ولو يؤمنوا بهما.

وقال أيضاً: وقد صار الناس في مسمى الإسلام على ثلثة أقوال؛ فطائفة جعلت الإسلام هو الكلمة. وطائفة أجابوا بما أجاب به النبي ﷺ حين سئل عن الإسلام والإيمان حيث فسر الإسلام بالأعمال الظاهرة والإيمان بالأصول الخمسة. وطائفة جعلوا الإسلام مرادفاً للايمان.

وقال الإمام الأشعري في كتابه مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين:

اختلفت الروافض في الإيمان ما هو؟ فالفرقة الأولى منهم -وهم جمهور الرافضة- يزعمون أن الإيمان هو الإقرار بالله وبرسوله وبالإمام وبجميع ما جاء من عندهم، فأما المعرفة بذلك فضرورة عندهم، فإذا اقر وعرف فهو مؤمن مسلم، وإذا أقر ولم يعرف فهو مسلم وليس بمؤمن. والفرقة الثانية منهم يزعمون أن الإيمان جميع الطاعات وأن الكفر جميع المعاصي ويثبتون الوعيد ويزعمون أن المتأولين الذين خالفوا الحق بتأويلهم كفار، وهذا قول ابن جبرويه. والفرقة الثالثة منهم أصحاب على بن ميثم يزعمون أن الإيمان اسم للمعرفة والإقرار ولسائر الطاعات فمن جاء بذلك كله كان مستكمل الإيمان ومن ترك شيئاً مما افترض الله تعالى عليه غير جاحد له فليس بمؤمن، ولكن يسمى فاسقاً، وهو من أهل الملة تحل مناكحته وموارثته ولا يكفرون المتأولين.

وقال الإمام الأشعري أيضاً: واختلفت الزيدية في الإيمان والكفر وهم فرقتان فالفرقة الأولى منهم يزعمون أن الإيمان المعرفة والإقرار واجتناب ما جاء فيه الوعيد وجعلوا مواقعة ما فيه الوعيد كفراً ليس بشرك ولا جحود بل هو كفر نعمة، وكذلك قولهم في المتأولين إذا قالوا قولاً هو عصيان وفسق، والفرقة الثانية منهم يزعمون أن الإيمان جميع الطاعات وليس ارتكاب كل ما جاء فيه الوعيد كفراً، وأجمعت الزيدية أن أصحاب الكبائر كلهم معذبون في النار خالدين فيها مخلدون أبداً لا يخرجون منها ولا يغيبون عنها، وأجمعوا جميعاً على تصويب علي بن أبي طالب في حربه وعلى تخطئة من خالفه.

وأجمعت الخوارج على اكفار علي بن أبي طالب ﷺ أن حكم وعلى أن كل كبيرة كفر وان الله يعذب اصحاب الكبائر عذاباً دائماً، واختلفت المرجئة في الإيمان ما هو وهم اثنتا عشرة فرقة، ومنهم الكرامية أصحاب محمد بن كرام يزعمون أن الإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان دون القلب وأنكروا أن يكون معرفة القلب أو شيء غير التصديق باللسان إيماناً، وزعموا أن الكفر بالله هو الجحود والإنكار له باللسان.

وقال الإمام الأشعري أيضاً: واختلفت المعتزلة في الإيمان ما هو؟ فقال قائلون الإيمان هو جميع الطاعات فرضها ونفلها وهم اصحاب أبي الهذيل، وحكى عنه أن الصغائر تغفر لمن اجتنب الكبائر على طريق التفضل لا على طريق الاستحقاق، وزعم ان الإيمان كله إيمان بالله منه ما تركه كفر، ومنه ما تركه فسق ليس بكفر كالصلاة وصيام شهر رمضان ومنه ما تركه صغير ليس بفسق ولا كفر ومنه ما تركه ليس بكفر ولا بعصيان كالنوافل، وقال هشام الفوطي: الإيمان جميع الطاعات فرضها ونفلها والإيمان على ضربين: إيمان بالله وإيمان لله، فالإيمان

بالله ما كان تركه كفراً بالله والإيمان لله يكون تركه كفراً، ويكون تركه فسقاً ليس بكفر نحو الصلاة والزكاة فمن تركه على الاستحلال كفر، ومن تركه على التحريم كان تركه فسقاً ليس بكفر. وقال عباد بن سليمان: الإيمان هو جميع ما أمر الله سبحانه به من الفرض وما رغب فيه من النفل والإيمان على وجهين: إيمان بالله وهو ما كان تاركه أو تارك شيء منه كافراً كالملة والتوحيد، والإيمان لله إذا تركه تارك لم يكفر. وقال ابراهيم النظام: الإيمان اجتناب الكبائر، والكبائر ما جاء فيه الوعيد، وكانت المعتزلة تنكر أن يكون الفاسق مؤمناً. وتقول: إن الفاسق ليس بمؤمن ولا كافر وتسميه منزلة بين المنزلتين.[١]

وقال السيد الشريف في شرح المواقف:

اعلم أن الإيمان في اللغة هو التصديق مطلقاً، قال تعالى حكاية عن إخوة يوسف: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾ أي بمصدق فيما حدثناك به. وقال ﷺ: «اَلْإِيمَانُ اَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ» أي تصدق. ويقال: فُلَانٌ يُؤْمِنُ بِكَذَا أي يصدقه ويعترف به. وأما في الشرع فهو عندنا يعنى اتباع الشيخ أبي الحسن وعليه أكثر الأئمة كالقاضي والأستاذ: التصديق للرسول فيما علم مجيئه به ضرورة فتفصيلاً فيما علم تفصيلاً وإجمالاً فيما علم إجمالاً. وقيل: الإيمان هو المعرفة فقوم بالله وهو مذهب جهم بن صفوان وقوم بالله وبما جائت به الرسل إجمالاً وهو منقول عن بعض الفقهاء، وقالت الكرامية: هو كلمتا الشهادة، وقالت طائفة: هو التصديق مع الكلمتين. ويروى هذا عن أبي حنيفة رحمه الله. وقال قوم: إنه أعمال الجوارح. فذهب الخوارج والعلاف وعبد الجبار إلى أنه الطاعات بأسرها فرضاً كانت أو نفلاً. وذهب الجبائس وابنه وأكثر المعتزلة البصرية إلى أنه

---

[١] – انتهى ما قاله الإمام الأشعري.

الطاعات المفترضة دون النوافل. وقال السلف أي بعضهم كابن مجاهد والمحدثون كلهم: إنه مجموع هذه الثلاثة؛ فهو عندهم تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان. وهل الإيمان يزيد وينقص؟ أثبته طائفة ونفاه آخرون؛ قال الإمام الرازي وكثير من المتكلمين هو بحث لفظي لأنه فرع تفسير الإيمان، فإن قلنا: هو التصديق فلا يقبلهما لأن الواجب هو اليقين وإنه لا يقبل التفاوت، وإن قلنا: هو الأعمال إما وحدها أو مع التصديق فيقبلهما، وهو ظاهر.

وقال السعد التفتازاني في شرح المقاصد:

الإيمان في اللغة التصديق. وأما في الشرع؛ فإما أن يجعل لفعل القلب فقط أو اللسان فقط أو كليهما وحدهما أو مع سائر الجوارح. فعلى الأول هو اسم للتصديق عند الأكثرين أعني تصديق النبي ﷺ فيما علم مجيئه به بالضرورة، وللمعرفة عند الشيعة وجهم بن صفوان والصالحي، وعلى الثاني للإقرار بشرط المعرفة عند الرقاشي، وبشرط التصديق عند القطان، وبلا شرط عند الكرامية، وعلى الثالث لمجموع التصديق والإقرار وعليه أكثر المحققين إلا أنه كثيراً ما يقع في عباراتهم مكان التصديق المعرفة أو العلم أو الإعتقاد، وعلى الرابع للإقرار باللسان والتصديق بالجنان والعمل بالأركان إما على أن يجعل تارك العمل خارجاً عن الإيمان داخلاً في الكفر وعليه الخوارج، أو غير داخل فيه وعليه المعتزلة مختلفين في أن الأعمال فعل الواجبات وترك المحظورات، أو مطلق فعل الطاعات، وإما على أن لا يجعل خارجاً وعليه أكثر السلف وهو المحكي عن مالك والشافعي ذهاباً إلى أنه قد يطلق على ما هو الأساس في النجاة وعلى الكامل المنجي.

والجمهور على أن الإسلام والإيمان واحد بمعنى رجوعهما إلى القبول والإذعان، وبالجملة لا يعقل بحسب الشرع مؤمن ليس بمسلم أو مسلم ليس

بمؤمن، وهذا مراد القوم بترادف الإسمين واتحاد المعنى، وذهبت الحشوية وبعض المعتزلة إلى تغايرهما نظراً إلى أن لفظ الإيمان ينبئ عن التصديق فيما أخبر الله تعالى على لسان رسله، ولفظ الإسلام عن التسليم والإنقياد، والمحكي عن الشافعي وكثير من العلماء أن الإيمان يزيد وينقص. وعند أبي حنيفة وأصحابه وكثير من العلماء وهو اختيار إمام الحرمين أنه لا يزيد ولا ينقص. وذهب كثير من السلف وهو المحكي عن الشافعي رضى الله تعالى عنه والمروي عن ابن مسعود ﷺ أن الإيمان يدخله الاستثناء؛ فيقال: أنا مؤمن إن شاء الله تعالى. ومنعه الأكثرون وعليه أبو حنيفة ﷺ وأصحابه لأن التصديق أمر معلوم لا تردد فيه عند تحققه.

وقال السعد التفتازاني أيضاً في شرح العقائد:

والإيمان في اللغة التصديق، يعدى باللام كما في قوله تعالى حكاية: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾ أي بمصدق، وبالباء كما في قول النبي ﷺ: «اَلْإِيمَانُ اَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ...» أي أن تصدق. وفي الشرع هو التصديق بما جاء به النبي ﷺ من عند الله تعالى أي تصديق النبي ﷺ بالقلب في جميع ما علم بالضرورة مجيئه به من عند الله تعالى إجمالاً والإقرار به باللسان إلا أن التصديق ركن لا يحتمل السقوط أصلاً والإقرار قد يحتمله كما في حالة الإكراه، وهذا الذي ذكر من أن الإيمان هو التصديق والإقرار مذهب بعض العلماء وهو اختيار الإمام شمس الأئمة وفخر الإسلام، وذهب جمهور المحققين إلى أنه هو التصديق بالقلب، وإنما الإقرار شرط لإجراء الأحكام في الدنيا لما أن تصديق القلب أمر باطن لابد له من علامة؛ فمن صدق بقلبه ولم يقر بلسانه فهو مؤمن عند الله تعالى وان لم يكن مؤمناً في أحكام الدنيا ومن أقر بلسانه ولم يصدق بقلبه كالمنافق فبالعكس وهذا أي كون الإيمان هو التصديق فقط اختيار

الشيخ أبي منصور رحمه الله تعالى والنصوص معاضدة لذلك قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ وقال النبي ﷺ «اَللّٰهُمَّ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ وَطَاعَتِكَ» فظهر أن ليست حقيقة الإيمان مجرد كلمتي الشهادة على ما زعمت الكرامية.

ولما كان مذهب جمهور المتكلمين سوى الأشاعرة والمحدثين والفقهاء أن الإيمان تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان أشار (أي النسفي) إلى نفي ذلك بقوله: فأما الأعمال فهي تتزايد في نفسها والإيمان في نفسه لا يزيد ولا ينقص، ومن ذهب إلى ان الأعمال من الإيمان فقبوله عنده الزيادة والنقصان ظاهر، ولهذا قيل: إن هذه المسئلة فرع مسئلة كون الطاعات جزأ من الإيمان، والإيمان والإسلام واحد، فلا يصح في الشرع أن يحكم على أحد بأنه مؤمن وليس بمسلم أو مسلم وليس بمؤمن، ولا نعني بوحدتهما سوى هذا أي لا ينفك أحدهما عن الآخر لا الاتحاد بحسب المفهوم، لما ذكر في الكفاية من أن الإيمان هو تصديق الله تعالى فيما أخبر به من أوامره ونواهيه، والإسلام هو الإنقياد والخضوع لألوهيته، وهذا لا يتحقق إلا بقبول الأمر والنهي.

وقال الشيخ إبراهيم اللقاني في جوهرة التوحيد:

وفسر الإيمان بالتصديق والنطق فيه الخلف بالتحقيق

قال شارحها الشيخ إبراهيم الباجوري: أي فسر جمهور الأشاعرة والماتريدية وكذا غيرهم من المعتزلة كالصالحي وابن الراوندي الإيمان بالتصديق فقط أي تصديق النبي ﷺ في كل ما جاء به وعلم من الدين بالضرورة وأن النطق شرط كالعمل. وذهبت المعتزلة إلى أن العمل شطر من الإيمان لأنهم يقولون بأنه العمل والنطق والاعتقاد فمن ترك العمل فليس بمؤمن لفقد جزء من الإيمان وهو العمل، ولا كافر لوجود

التصديق، فهو عندهم منزلة بين المنزلتين أي بين المؤمن والكافر، ويخلد في النار ويعذب بأقل من عذاب الكافر. والخوارج يكفرون مرتكب الكبائر.

وقال قوم محققون كالإمام أبي حنيفة وجماعة من الأشاعرة: ليس الإقرار بالشهادتين شرطاً بل هو شطر؛ فيكون الإيمان عند هؤلاء اسماً لعملى القلب واللسان جميعاً وهما التصديق والإقرار. وكل من القولين المذكورين ضعيف. والمعتمد أن الإقرار شرط لإجراء الأحكام الدنيوية فقط. ومعنى الإسلام شرعاً الامتثال والانقياد لما جاء به النبي ﷺ مما علم من الدين بالضرورة، وعلى هذا فالإيمان والإسلام متغايران، وهذا ما ذهب اليه جمهور الأشاعرة. وذهب جمهور الماتريدية والمحققون من الأشاعرة إلى اتحاد مفهوميهما. ورجح جماعة من العلماء وهم جمهور الأشاعرة القول بزيادة الإيمان بسبب زيادة طاعة الإنسان. وقال جماعة أعظمهم الإمام أبو حنيفة: إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، لأنه اسم للتصديق البالغ نهاية الجزم والإذعان، وهذا لا يتصور فيه ما ذكر لأن تلك النهاية لا مراتب لها.

***

مبحث الصفات السلبية

اعلم أولاً أنه يجب علينا معاشر البَلَّغ العقلاء أن نعرف ما يجب له تعالى وما يستحيل وما يجوز عليه؛ فالواجب له تعالى عشرون صفة؛ واحدة صفة نفسية، وهي الوجود. وخمس صفات سلبية، وهي القدم والبقاء ومخالفته للحوادث وقيامه بنفسه والوحدانية. وسبع صفات المعاني، وهي صفة وجودية توجب لموصوفها حكماً كالقدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام. وسبع صفات معنوية، وهي صفة ثبوتية اعتبارية لازمة للمعنى في التعقل إذ لا يعقل الكون قادراً إلا بعد تعقل القدرة وهكذا، وهي كونه تعالى قادراً ومريداً وعالماً وحياً وسميعاً وبصيراً ومتكلماً.

والمستحيل عليه تعالى عشرون صفة أيضاً، وهي أضداد العشرين الواجبة له تعالى.

وأما الجائز في حقه تعالى ففعل كل ممكن أو تركه.

وثانياً أن الصفات السلبية هي التي دلت على سلب ما لا يليق به سبحانه وتعالى، وليست منحصرة في خمس على الصحيح كما عدها الناظم رحمه الله تعالى ستاً وعشرين صفة سلبية. وأما ما قال بعض العلماء من أنها خمس فبناء على أنها أصول، وما عداها راجع إليها ولو بالإلتزام.

قال الناظم رحمه الله تعالى:

وجودا وى عينه ژ بو ذات وى	نه أول نه آخر نه ضده اوى
نه مثل و ظهير ووزير ومكان	نه مانع معين وجهات وزمان
نه جسم ونه جوهر نه نور وعرض	نه ذو لون ومقدار وشكل ومرض

نه أولاد وزوجة نه باب ونه دا	نه همكوف وموت وزوالا خدا
نصوص كو دالن لشولا محال	مؤوّلكه مسپيره اهل ضلال
ژ نفسا ته نيزكتيرينى ته يه	خبير بأفعال وقول ته يه

اللغة

(وجودا وى) أي وجود الله تعالى (عينه ژبو ذات وى) أي عين لذاته تعالى لا أمر زائد على حقيقة الموجود، وهذه هي الصفة النفسية، وذكرها الناظم في أثناء الصفات السلبية، وأكثر العلماء أفردوا هذه الصفة عن الصفات السلبية (نه أول) كلمة نه للنفي أي لا أول لوجوده، وهذا إشارة إلى صفة القدم. وفي شرح جوهرة التوحيد: القديم هو القائم بنفسه الذي لا أول لوجوده. وفي كتاب الاقتصاد في الاعتقاد -تأليف الإمام الغزالي-: صانع العالم قديم لا أول له وباق لا آخر له.وأما قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ فمعناه هو الأول قبل كل شيء بلا بداية أي افتتاح لوجوده، والآخر بعد كل شيء بلا نهاية لوجوده (نه آخر) أي لا آخر لوجوده، وهذا إشارة إلى صفة البقاء (نه ضده اوى) أي ليس له تعالى ضد (نه مثل ظهير وزير مكان) أي ليس له تعالى مثل ولا ظهير ولا وزير ولا مكان (نه مانع معين جهات زمان) أي ليس له تعالى مانع ولا معين ولا جهات ولا زمان (نه جسم نه جوهر) أي ليس تعالى بجسم ولا جوهر، فالجسم هو الشيء المركب من جزئين فصاعداً، والجوهر هو الجزء الذي لا يتجزأ (نه نور) أي ليس تعالى بنور، فلا يقال له تعالى نور، لعدم ورود إذن الشرع بذلك، وأما قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فبمعنى منوّرهما، أو المراد بالنور الهداية. قال إمام الحرمين: النور الذي هو من الأسماء الحسنى معناه الهادي (عرض) أي ليس تعالى بعرض لأن العرض ما له